الثقافة الشعبية

كوسيلة من وسائل القضاء على الأمية

للأستاذ حسين حمدى

لسنا هنا فى معرض التدليل على فوائد هذا المشروع ومزاياه ، ولسنا بنقصنا شواهد الحال أو دلائل الواقع لتؤكد قيمة الأثر المعنوى والمادى لتلك النقلة الاجتماعية الكبرى ، من مرحلة الأمية المطبقة إلى عصر التفتح العقلى والنمو الفكرى لأبناء قطر شع منه نور العلم والعرفان منذ آلاف من السنين ، وقت أن كان العالم الخارجى أو كثير من بقاعه يغط فى جهالة عمياء ، لا تفهم عيش الحضارة ولا تستطيع أن تحيا حياة المجتمع الإنسانى المتمدين .

وإذا لم يكن من أبرز فوائد هذا المشروع الجليل سوى إعداد الناخب الوطنى وتفتيح ملكات الملاحظة ومواهب النقد ، وقدرة الحكم على الأشخاص والأشياء عنده ولو عن سبيل التدرج والتطور ، لكفى ذلك باعثا على مناصرتنا له ، وعقدنا الخناصر والعزائم على الدعوة إليه ، وموالاة تنفيذه بصدق وإيمان .

وعامل الزمن وحده هو العنصر الفعال فى نجاح هذه المشروعات وإيتائها ثمارها المقصودة وليست ثلاث سنوات أو خمس أو عشرة بالشىء المذكور فى مصاير الانقلابات السلمية ، التى تقضى على عوامل التقهقر والانحلال فى حياة المجتمعات .

فما بد من أن تلفتنا هذه الحقيقة إلى قيمة التأنى والمثابرة لاستخلاص النتائج الاجتماعية المرموقة ، ولو تراخت بنا فترة التنفيذ والتطبيق ، فى سبيل إعداد أجيال جديدة خلصت من وصمة الأمية وانطلقت من عقال هذا الجمود العقلى الذى ران علينا طيلة أزمان !

ومن شأن هذا الواقع الاجتماعى أن يحفزنا إلى التطلع قليلا إلى الخطوة التى يجب أن تتلو هذا المشروع ، لنستشرف للمستقبل الثقافى لتلك العقول التى كافحنا فيها الأمية ونهضنا بها إلى مستوى آدمى يفهم ، ولو إلى قدر ، معنى الحقوق والواجبات .

فأساليب هذا المشروع كما طالعناها وفهمناها تتجه فى جوهرها إلى الاكتفاء بتعليم الأميين مبادئ القراءة والكتابة ، مع قليل من العلوم الأخرى أهمها الدين والحساب ... الخ .

فهذه الألوان الثقافية المبسطة لن تكون ، خلال مرحلة المكافحة ، من عمق الأثر ، بحيث تحقق معنى التحرر من قيود الأمية ، وتجتذب المحررين إلى موالاة حياة الدراسة الشخصية التى تصقل العقل وتنمى فيه محصول تلك المعلومات .

فحماستنا للمشروع إذن يجب أن لا تنسينا وجوب ملاحقة هذه الخطوة التمهيدية بخطوة تكميلية أخرى ، لا تقل من حيث الضرورة بل الخطورة ، عن الخطوة الأولى التى استهلنا بها معركة كفاح نرجو أن يكون موصولا .

وحياة التثقيف العقلى لا تعرف التقطع والارتجال ، فليس من مقتضى سياسة المكافحة الحالية ، أن نقف عند حد تمكين الأميين من فك "رموز" القراءة والكتابة فحسب ، بل إن طبيعة المشروع ومرونته هما خير تمهيد لمواصلة ما يمكن أن نسميه بعملية تثقيف الشعب وهى عملية اعترف وزير المعارف فى تقريره القيم باختصاص وزارة الشؤون الاجتماعية بها ، لأنها تتفق وطبيعة مهمتها فى المجتمع المصرى — وهذه الوزارة هى التى ستحتضن مشروع التثقيف الشعبى حتى آخر مراحله ، وهى التى يتيسر لها أن تكافح "الأمية" بين جماهير أنقذتهم من "الأمية المطبقة" وأذاقتهم نعمة القراءة والكتابة ، فشعروا بآدميتهم وسهل عليهم أن يستمروا حياتهم على وجه أفضل مما كان عليه الحال من قبل .

فخلق "البيئة الثقافية" فى كافة الأقاليم والأنحاء التى تخضع لمشروع مكافحة الأمية ، هى مناط النجاح العملى لهذه السياسة .

فكيف السبيل إلى خلق هذه البيئة لإحداث الأثر الاجتماعى المرجو بين طبقات الشعب التى ستفيد من مشروع مكافحة الأمية ؟

أول وأهم ما يجب أن يتجه إليه اهتمام المعنيين بسياسة التثقيف الشعبى أن يقوموا بتأسيس ما يسمى بالمكتبات الشعبية . فهذه المكتبات هى فى الواقع بمثابة جامعات الشعب الحرة ، لا تخضع لقيود المعاهد والمدارس تظل أبوابها مفتوحة لطلابها طيلة ساعات اليوم ، فالمكتبة هى مركز الإقليم الثقافى ، ونواة الجماعة من عشاق الاطلاع والقراءة وحب التعرف على تيارات الحياة التى تتجاذبهم فى صور مبسطة وألوان فكرية سهلة الهضم .

وهذا الموضوع يقضى بتنظيم برنامج اجتماعى جديد يدرس البيئة العقلية فى الإقليم ويقف على مدى استعدادها بعد إتمام مرحلة المكافحة التى تعد الأفراد للقراءة . ومن شأن هذا الأمر أن يقضى بتزويد المكتبة الأقليمية بنوع من المؤلفات السهلة العبارة القريبة فى أساليب التعبير إلى أفهام العامة ، فتتناول المواضيع العامة والشؤون الداخلية الهامة فى سلاسة تبسط لهذه الأذهان الغضة التى بدأت تتفتح للمعرفة ، ما يشكل عليها من الحقائق والمعارف التى تنبث فى تضاعيف الكتب الأخرى التى تقتضى فهما أرق وأفقا عقليا أرحب .

ولا يضير وزارة الشؤون الاجتماعية أن تعقد المباريات والمسابقات ذات الجوائز القيمة ، تدعو فيها فريق المؤلفين والكتاب إلى تأليف مثل هذه العجالات والكتب وتحليتها بالصور والرسوم لتجتذب ميول هذه العقليات واهتمامها . وطبعا يراعى أن تتناسب هذه المؤلفات وأسنانهم ومهنهم .

ولا بد لنجاح مثل هذه الثقافة أن تكون قريبة الصلة بالوسط الاجتماعى فى الإقليم ، فتدرس أحواله وتستقصى شؤونه وتبحث مشاكله وتفتح لهذه العقليات أفقا جديدا يعينها على فهم مستوى حياتها لتكون عاملا من عوامل ترقيته والنهوض به .

ولا بد لتعميم فائدة هذه المكتبات من أن تلحق بها قاعة للمحاضرات التى يلقيها إخصائيون اجتماعيون فى أساليب مبسطة يفهمها الريفيون والعمال ؛ حيث تعرض عليهم الأشرطة السينمائية والرسوم واللوحات المختلفة التى تستخدم كوسيلة إيضاح لزيادة الشرح والتمثيل والتقريب إلى الأذهان ويجب أن تكون هذه المكتبات نواة المراكز الاجتماعية على الأقل فى ناحية من أهم نواحى نشاط هذه المراكز ولذلك يحسن أن تخلق لها بوزارة الشؤون إدارة خاصة لتعنى بشؤونها كافة — ولهذه الادارة مثيل فى كل الدول الأوربية حيث يجند موظفوها وعمالها للقيام بأعباء هذه الخدمات الاجتماعية العامة التى لها أكبر الأثر فى تكوين الرأى العام وخلق الاتجاهات الثقافية الراقية التى ترفع من مستوى الشعب .

وعلى وزارة الشؤون الاجتماعية ، مستعينة بالهيئات الإدارية ، أن تعمل على تشجيع الأغنياء والمثرين للتبرع بتأسيس هذه المكتبات والمساهمة فى تزويدها بالكتب والأدوات اللازمة ، حتى يمكن للمعونة والتنظيم الحكوميين من أن يسيرا جنبا إلى جنب مع التشجيع الأهلى ، قياما بغرض التضامن الاجتماعى الذى يجب أن يسود اتجاهاتنا القومية لإقالة هذا الوطن من عثار تأخره .

وستكون هذه المكتبات من وسائل تسهيل سبل العلم والقراءة لجماعات القرويين والعمال ، إذ تكون المكتبة بأمنائها وعمالها فى خدمة روادها والمترددين عليها حيث يطالعون المؤلفات السهلة والجرائد والمؤلفات ، وفهم كل ما له مساس بشؤون حياتهم عن طريق المحاضرات والمناقشات .

وفى هذا العصر ، تعمل الدول المتحضرة على تزويد الراشدين من أبنائها الذين لم تتح لهم ظروف حياتهم سوى حظ ضئيل من الثقافة لا يكفى لمواجهة أعباء الحياة العصرية ، بألوان ثقافية جديدة ، يستكملون بها ما فاتهم من التربية فى معاهد التعليم .

وقد بين " الكتاب الأبيض " سياسة الحكومة الانجليزية فى هذا النوع من التعليم وقال إن الحكومة تعتزم تهيئة الفرص الكافية لتثقيف الشعب ، بعد ما ثبت لها أنه لا بد فى حياة كل إنسان من تعليم متلاحق متواصل ، لتثبيت النتائج التى يحصل عليها الشبان فى المدارس وكذلك بين الكتاب الأبيض أن نظام التعليم لا يكون كاملا إذا لم يعن بتثقيف الكبار . ولذلك أعارت الحكومة الانجليزية والحكومة السكندناوية ، من قبل ، موضوع المكتبات الشعبية أجل جانب من عنايتها ، حتى تنهض بمستوى الشعب فيتخلص من وصمة الأمية التى تلحق من لم ينل من التحصيل إلا نصيبا تافها لا يكفى لإعداده لمواجهة الحياة العصرية المعقدة .

فما أحرانا نحن ، وقد بدأنا ننفض عنا غبار الأمية والجهل ونطوى صفحة من الحياة لنستهل صفحة أخرى جديدة ، أن نأخذ بسياسة تثقيف الشعب على أوسع نطاق لها ، ولا سيما بعد أن عرفنا أننا أحق الأمم بمحاربة هذه الوصمة التى تقف عقبة كأداء فى سبيل تأييد نظمنا النيابية ورفع مستوى حياتنا الاقتصادية والفنية إلى مستوى يليق بأمة لها ماض عظيم فى الحضارة والعمران .

حسين حمدى